



قد يفسر بعد الجغرافي بين الزبداني - شمال غرب دمشق - وقرىتي كفريا والفوعة - شمال إدلب - (300 كلم) فشل أي توجه للهدنة، فالبلون شاسع بين الطرفين المتناورين كما بين المنطقتين، وفي لعبة الشطرنج السورية جعلت إستراتيجية الأملة وتحولات الجبهات واللاعبين السياسيين الهدنة مستعصية.

والهدنة في المناطق الثلاث - التي انتهت فجر السبت - هي الثانية التي تنهار في أقل من ثلاثة أسابيع، واستئنف القصف ععنف أشد على قريتي كفريا والفوعة الشيعيتين من قبل المعارضة السورية المسلحة، كما تجدد قصف الجيش السوري وحزب الله على الزبداني واشتعلت الاشتباكات مع مسلحي حركة أحرار الشام وجبهة النصرة.

وتميزت اتفاقيات وقف إطلاق النار في سوريا بالهشاشة، ولم تفلح محاولات الأمم المتحدة لعقد هدنات أطول في أجزاء أخرى من سوريا مثل مدينة حلب في الشمال، كما فشلت تجربة المصالحات نسبياً وخرق العديد منها نتيجة تدخلات عديدة في الأزمة السورية.

كتائب المعارضة تستهدف كفريا والفوعة المواليتين للنظام بريف إدلب بصاروخ بعد انهيار الهدنة (ناشطون)
هشاشة الوضع

وأجرت مفاوضات بين وفد إيراني وحركة "أحرار الشام" على الأرضي التركية لإقرار هدنة 48 ساعة، ودخل اتفاق وقف إطلاق النار بين المسلمين من جهة وقوات النظام وحزب الله من جهة أخرى في الزبداني وكفريا والفوعة، ودخلت حيز التنفيذ يوم الخميس صباحاً، لتعمر لمدة 48 ساعة.

وكان الاتفاق يهدف إلى إتاحة الفرصة أمام المفاوضات بشأن انسحاب المسلمين من الزبداني وبلدة مضايا بشكل آمن مقابل خروج نحو مئات المدنيين من بلدي كفريا والفوعة، إضافة إلى إدخال مواد طبية وغذائية وإخراج الجرحى من البلدات والمدن السابقة والتفاوض على نقاط أخرى.

وكما حصل في الهدنة التي جرت منتصف أغسطس/آب الجاري لم يعلن الطرفان عن نقاط الخلاف التي أدت لانهيار الهدنة، لكن نقاطاً عديدة تضافرت لتفرض العودة إلى السلاح في المنطقتين لعل أبرزها عدم نضوج الظروف لمثل هذه المبادرات والتوجس الدائم من قبل المتفاوضين.

وفقاً لمصادر المعارضة لم تكن "أحرار الشام" - وهي الطرف الأساسي في المفاوضات - تزيد الاكتفاء بعملية إخلاء المدنيين أو وقف إطلاق النار، بل هي تطالب بالإفراج عن آلاف المعتقلين من سجون النظام السوري.

وتشير المصادر من "أحرار الشام" إلى أن التنظيم يرفض تغيير ديمغرافية الزبداني أو أي منطقة سورية، معتبراً أن هناك من

يريد إخلاء المدنيين وإدخال الإيرانيين مكانهم.

وتفوكد بعض المصادر أن المفاوضات الإيرانية قبل شرط "أحرار الشام" بإخلاء سبيل عدد كبير من المعتقلين والمعتقلات في سجون النظام، لكن النظام رفض هذا الشرط باعتباره أحد الأوراق السياسية المهمة التي يحتفظ بها.

كما ذكرت مصادر مقرية من المفاوضات أن المعارضة المسلحة كان لديها تحفظ على الجهة التي ستقوم بإخراج الجرحى، حيث كان من المقرر أن يخرجهم الهلال الأحمر السوري، وهو ما رفضته المعارضة.

ومن النقاط الأخرى العلاقة أن المفاوضين الإيرانيين طلبوا خروج كل أهالي كفريا والفوفعة عبر ممر آمن إلى مناطق سيطرة النظام، مقابل تأمين ممر مماثل لجميع الموجودين داخل الزبداني. فيما وافقت "أحرار الشام" فقط على أن يخرج من كفريا والفوفعة جميع النساء والمسنين، والذكور الذين تقل أعمارهم فقط عن الخمس عشرة سنة.

وكان الجيش السوري ومليشيات حزب الله اللبناني قد شنا الشهر الماضي هجمات لإخراج المعارضة المسلحة من مدينة الزبداني التي يعتبرها الجيش السوري مهمة بسبب قربها من العاصمة دمشق والحدود اللبنانية كما تتعرض بلدنا كفريا والفوفعة إلى هجمات دائمة من قبل المعارضة.

إستراتيجية المدن:

ويقول النظام إن قواته تسيطر على معظم الزبداني، عدا كيلومتر ونصف مربع من المدينة بما يشي بإمكانية حسمها المعركة العسكرية، كما تؤكد المعارضة المسلحة قدرتها على دخول كفريا والفوفعة، وهو ما قد يحصل قريباً.

وتبلغ مساحة الزبداني (ريف دمشق) حوالي 395 كيلومتراً وتكون أهميتها عسكرياً في قربها من لبنان، 11 كيلومتراً عن الحدود اللبنانية السورية، ومن دمشق، حيث تبعد عنها 45 كيلومتراً فقط، ويعتبر النظام وجذور المسلحين فيها تهديداً دائماً للعاصمة.

وتتوسط المدينة الطرق بين دمشق وحمص ومنطقة الساحل في الشمال، وسيطرة النظام عليها تعني تأمين الحدود اللبنانية بالكامل والسيطرة اللبناني السوري من مسلحي المعارضة وإغفال معابر الإمداد والتهرير مع لبنان إضافة إلى تأمين ريف دمشق الغربي والعاصمة دمشق.

كما تعني السيطرة على المدينة تقلص المخاطر المستقبلية للمعارضة المسلحة على خط بيروت دمشق وتسمح لجيش النظام القيام بعمليات عسكرية "مرحية" في مناطق وجودها في ريف دمشق، لإبعادها أو الحد من إمكانية تحركها وفقاً للخبراء العسكريين.

كما سيضع سقوط الزبداني فسائل المعارضة المسلحة في مساحات جغرافية محددة يصعب بعدها عليها لتحرك بسهولة، ويشكل خطراً على نقاط تواجدها في الغوطتين.

ويرى الباحث العسكري والإستراتيجي إلياس فرحات في حديث للجزيرة أن عملية الزبداني تمثل جزءاً من عملية القلمون التي بدأها الجيش السوري وحزب الله قبل شهر ونصف بمنطقة جبال القلمون التي يتحصن فيها تنظيم القاعدة ممثلاً في جبهة النصرة وتنظيمات أخرى.

ومن جهة يشير الخبير العسكري والإستراتيجي أسعد الزعبي - للجزيرة - إلى أن الزبداني تمثل البوابة الحقيقة للقلمون الغربي، وأنها رغم تعرضها للحصار منذ ثلاث سنوات، لم تتمكن قوات النظام أو مليشيات حزب الله من دخولها، رغم فارق التسلح بينهما وبين الثوار داخل المدينة.

كما تكمّن أهمية مدينة الزبداني بامتدادها الجغرافي الجنوبي مع ريف القنيطرة - الذي يسيطر على معظم مقاتلو المعارضة - وبالتالي قدرة مقاتلي المعارضة على قطع طريق دمشق، وتهديد العاصمة من الجهة الجنوبية.

وبالنسبة لكفريا والفوفعة، فقد تم حصارهما بشكل كامل من قبل جيش الفتح منذ نهاية مارس/آذار الماضي، وبقيت القرىتان

الوحيدتان في شمال إدلب اللتان لم تخضعا لسيطرة المعارضة التي استولت على مساحات شاسعة في محافظة إدلب، وشن جيش الفتح عدة هجمات للسيطرة عليها.

وتعتبر عملية السيطرة على كفريا والفوعة، إضافة إلى الأهمية العسكرية بسيطرة المعارضة على كل الريف الشمالي الغربي لإدلب ضربة نفسية لجيش النظام ومؤدية، إذ من الممكن أن تعجل بسقوط مناطق أخرى وربما يكون لها دور مؤثر بمسار الحرب.

وتقول مصادر المعارضة إن مدينة الفوعة تتميز بتحصينات كبيرة، حيث تقسم إلى ثلاثة خطوط دفاعية تضم دشما وخدائق وألغاما وأسلحة ثقيلة حديثة ومتنوعة والآلاف من أفراد المليشيات الإيرانية والعراقية وحزب الله، وهو ما صعب عملية اقتحامها.

وتفيد المفاوضات بشأن القريتين ومدينة الزبداني - رغم فشلها - على عدة حقائق في الأزمة السورية أبرزها الدور الإيراني الفاعل فيها، والآخر التركي الذي يرعاها، كما أكدت دخول العنصر الطائفي بقوة - بالنظر إلى الانتماء الطائفي للمناطق الثلاث - كما تشير إلى صعوبات الحوار الشامل في سوريا سواء ضمن "جينيف3" أو أي إطار آخر.

المصادر: